

الحركات الإسلامية المعاصرة

ودورها في الصراع على الأرض المقدسة « القضية الفلسطينية »

بقلم الدكتور

مروان نتحادة

باحث متخصص في شؤون الحركات الإسلامية



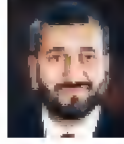
سرية المصنوع الإعلامي

محرم ١٤٢١ هـ - يناير ٢٠٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

**الحركات الإسلامية المعاصرة
ودورها في الصراع
على الأرض المقدسة
(القضية الفلسطينية)**

بقلم

مروان شحادة¹

باحث متخصص في شؤون الحركات الإسلامية

مدير مركز رؤية للدراسات السياسية والإستراتيجية

مقدمة

في هذا البحث القيم الذي يستعرض فيه الأستاذ الفاضل والباحث القيم مروان شحادة ، العلاقة بين الحركة الإسلامية والصراع على الأرض المقدسة (القضية الفلسطينية) .

نجد أن قضايا الصراع قد مرت بمراحل عدة بين الحركة الإسلامية وبين الصليبية والصهيونية العالمية والنظم العلمانية التي حكمت المنطقة الإسلامية ، ففي الفترة التي تلت سقوط الخلافة قامت الحركات وفي مقدمتها حركة الإخوان لإعادة الخلافة مرة ثانية ثم مع إحتلال فلسطين قامت الحركات الجهادية لإخراج الاحتلال البريطاني وكذلك اليهود من أرض فلسطين ومن بينها حركة الشهيد عز الدين القسام والتي تعاونت الدول العلمانية مع الصليبية والصهيونية في القضاء عليها ، واستطاعت النظم العلمانية أن تتسلم زمام أمور المجتمع الإسلامي بعد رحيل الاستعمار التقليدي ، والتي كانت البديل الذي دفع به النظام العالمي لاستلام مقاليد الحكم بديلاً عنه في المجتمع الإسلامي ، وذلك بإبعاد الحركات الإسلامية عن مقاليد الحكم وإبعادها عن قضايا الصراع وذلك لاستمرار وتعزيز المشروع الغربي في المنطقة ، ومن ثم قضت على التوجهات الإسلامية وأحلت محلها التوجهات اليسارية والوطنية لتفقد قضايا الصراع ، وبعد هزيمة 67 والتي كانت هزيمة للتيار القومي والوطني العلماني ، بدأت المسيرة تتحول إلى الإسلاميين مرة أخرى ليتسلموا مقاليد المواجهة ضد الصليبية والصهيونية العالمية ، وقد انقسمت الحركة إلى ثلاثة اتجاهات ، اتجاهين منهما يعطي الشرعية للعلمانية منها التيار الدعوى الذي تنزع منه الحركات السلفية والتيار الحركي أو الإسلام السياسي الذي يتزعمه الإخوان المسلمون ، وكلاهما يحاول التغيير من خلال النظام العلماني وينتسب لهذا التوجه بعض الحركات الجهادية كحماس إلا أنها من خلال مفاهيمها المنحرفة والتي تسمح بالالتقاء بالنظام العلماني ذابت هذه الحركات وانحرفت عن هدفها فأصبحت بديلاً عن النظام العلماني وكلا الاتجاهين أصبح يمثل مشروع الخيانة العلماني ، وبالتالي

¹ باحث وناشط إسلامي متخصص في شؤون الحركات الإسلامية - الأردن.

أصبحت لا تمثل الأمة ولا المشروع الإسلامي ، بل تمثل مشروعها الخاص وفق مصالحها الخاصة و ثم اتجاه ثالث هو اتجاه السلفية الجهادية التي لا تعترف بشرعية النظام العلماني ولا شرعية هذه الحركات وتنطلق من خلال مفاهيم السلف الصالح الذي يقوم عليه المشروع الإسلامي المقابل للمشروع العلماني والتي ترى أن طرق التغيير لا تكون من خلال النظام العلماني نفسه الذي يمثل التوجه الجاهلي ، بل عن طريق مواجهة بالبيان والسنن حتى تستطيع إقامة نظام الحكم الإسلامي الذي يقود المجتمع المسلم ، وقد بدأ هذا التيار بالعلامة الشهيد سيد قطب الذي يمثل علامة فارقة بين التوجه الإسلامي والتوجه العلماني ثم صاحب هذا التوجه بعض الحركات الجهادية في بعض الأقطار الإسلامية ثم استمرت المسيرة بالحركة الجهادية في مصر وكذلك من خلال الحركة الجهادية في أفغانستان والتي تطورت فيها الحركة الجهادية ووصلت إلى الرشد في المفهوم والرشد في المواجهة واتسعت من القطرية إلى العالمية ، مما ساعد على انتشار هذه الحركات الجهادية عبر العالم الإسلامي بل العالم كله ومن خلال الصراع والمواجهة التي قامت بين الحركة الإسلامية والصليبية والصهيونية العالمية انقسم العالم إلى فريقين وإلى فسطاطين وتوجهين ومنهجين وطريقين وعقيدتين كلا منهما مختلف عن الآخر ، ومن هنا كان انحسار دور الحركات التي تعمل من خلال العلمانية بل أصبحت طرفاً في الصراع الدائر بجانب الصليبية والصهيونية العالمية ضد الحركات السلفية الجهادية ومن ثم لم يبق أمام الأمة إلا المشروع الذي يمثل الجهاد العالمي في إحياء المشروع الإسلامي وقيادة دفة الصراع بينها وبين الصليبية والصهيونية العالمية وهو المشروع الحقيقي الذي يمثل الأمة تمثيلاً حقيقياً .

وجزاكم الله كل خير

الناشر

الحركات الإسلامية المعاصرة

ودورها في الصراع

على الأرض المقدسة

(القضية الفلسطينية)

تمهيد:

يعود اهتمام الحركات الإسلامية في القضية الفلسطينية إلى مرحلة مبكرة من تأسيسها، فمن المعروف أن هذه الحركات تشكلت عقب أفول الدولة العثمانية التي كانت تمثل مرجعية للعرب والمسلمين في كافة أنحاء العالم، وفي هذا السياق نشأت العديد من الجماعات الإسلامية تسعى إلى عودة نظام الخلافة المفقود، وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين التي أسسها الشيخ حسن البنا في مصر عام 1928م، وأنشأت فروعاً لها في معظم البلدان العربية والإسلامية، وعلى الرغم من المنظور الشمولي لمعالجة قضايا النهضة والتقدم وعودة الإسلام إلى الحياة، إلا أن القضية الفلسطينية اتخذت موقعاً مركزياً في أطروحات هذه الجماعات، بل وشاركت في التعبئة والتجنيد والقتال ضد الاستعمار الصهيوني والقوى الغربية التي ساهمت في إنشاء الكيان الاستعماري على أرض فلسطين التاريخية.

وعلى الرغم من انخراط الجماعات الإسلامية بالقضية الفلسطينية نظراً لما تتمتع به فلسطين من مكانة عقدية وحضارية وتاريخية في قلوب وعقول المسلمين، وعلى الرغم كذلك من ظهور حركات مقاومة إسلامية داخل فلسطين تسعى إلى تحريرها من الاستعمار الاستيطاني البريطاني والصهيوني، والتي تمثلت بحركة الشهيد الشيخ عز الدين القسام، والتي قمعت بقسوة؛ إلا أن فترة ما سمي بالاستقلال ونشوء الدولة الوطنية دفعت بحركات ذات طبيعة إيديولوجية يسارية وقومية لتتقدم في الدفاع عن القضية الفلسطينية خلال عقدي الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي، الأمر الذي أدى إلى تراجع دور الحركات الإسلامية وانكفائها في ظل الحرب الباردة.

عوامل نشوء الحركات الإسلامية المعاصرة:

لقد ساهمت مجموعة من العوامل الدولية والإقليمية والمحلية في تراجع المد اليساري والقومي كانت هزيمة حزيران 1967م علامة فارقة على حدوث تحولات جذرية على سلوك الحركات الإسلامية التي اندفعت بقوة في تبني مركزية القضية الفلسطينية والبدء في الدخول في تيار المقاومة والممانعة للمشروع الصهيوني في فلسطين والمنطقة، في ظل تراجع الأيديولوجيا اليسارية والقومية، وفي هذا السياق ظهرت حركات "إسلام سياسي" و"إسلام جهادي" أخذت تبلور مشاريعها التحريرية ورؤيتها النضالية داخل فلسطين والعالم العربي والإسلامي، ومن أبرز هذه الحركات جماعة الإخوان المسلمين بكافة فروعها، والتي خرجت من رحمها حركة "حماس" في فلسطين، وكذلك الحركات السلفية الجهادية والتي خرج من رحمها عدد من الجماعات العاملة في العالمين العربي والإسلامي وبدأت تتشكل فروع لها داخل فلسطين، ومن هذه الجماعات، الحركات الجهادية الوطنية التي خرجت من رحم الحركة الوطنية الفلسطينية، مثل حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين.

وسوف نتناول في هذا البحث طبيعة الحركات الإسلامية المعاصرة ومنظورها الفكري والأيديولوجي والاستراتيجي للقضية الفلسطينية، ونعمل على إبراز مساهمتها في النضال في سياق الحركة الوطنية الفلسطينية، ومنظورها المستقبلي لمجمل الحلول المطروحة على الساحة.

جذور الحركات الإسلامية من الناحية الفكرية والأيديولوجية:

من المعروف أن الفاعلين الإسلاميين في الساحة الإسلامية ينقسمون إلى ثلاث تيارات رئيسية: أولاً: تيار الإسلام الدعوي، ثانياً: تيار الإسلام السياسي (الحركي)، ثالثاً: تيار الإسلام الجهادي، ويعتبر التيار الأخير ممثلاً للتميز في العمل الإسلامي، والذي تمثله الحركات السلفية الجهادية في العالم الإسلامي، وفي مقدمته تنظيم القاعدة بزعامة بن لادن والظواهري، وهذا التيار معروف بعدائه وعدم إيمانه بالديمقراطية وهو يحرم الدخول في المجالس التشريعية ويكفر بمجمل العملية الانتخابية، ومن هذا الباب فإن مواقف من حركات الإسلام السياسي كحركة الإخوان المسلمين وحزب العدالة والتنمية في تركيا والمغرب، وكذلك حركة حماس في فلسطين تحكمها أيديولوجيا مميزة ترى في هذه الحركات خارجة عن نطاق مفاهيم الإسلام الصحيحة التي لن تحقق المشروع الإسلامي

وبالتالي فإنها توالي نشر اعتقاداتها الصحيح ومقاطعتها والعمل على تصحيح مسارها أو إسقاطها لدى الشارع العربي والإسلامي.

هناك صعوبة في محاولة تعريف مفهوم الحركة من خلال كلمات أو عبارات مختصرة؛ فالحركة - بالمعنى الجسدي - تعني التحرك من مكان إلى آخر، أو تحريك شيء من مكان إلى آخر، أو تحرك في الوضع لا يعني بالضرورة الانتقال إلى موقع جغرافي مختلف، كأن نقول - مثلاً - أن رد الفعل الذي يتجلى في تعبيرات وجه شخص ما يشير إلى الدهشة أو الاستغراب. أما بالمعنى الاجتماعي، فيمكن الإشارة إلى الحركة باعتبارها القيام بعدد من الأنشطة للدفاع عن مبدأ ما، أو للوصول إلى هدف ما؛ كما تتضمن الحركة الاجتماعية وجود اتجاه عام للتغيير؛ وهي تشمل أيضاً مجموعات من البشر يحملون عقيدة أو أفكار مشتركة، ويحاولون تحقيق بعض الأهداف العامة. كما يشير البعض إلى أن الحركة الاجتماعية هي محاولة قصدية للتدخل في عملية التغيير الاجتماعي، وهي تتكون من مجموعة من الناس يندرجون في أنشطة محددة، ويستعملون خطاباً يستهدف تغيير المجتمع، وتحدي سلطة النظام السياسي القائم. كما يقترن مفهوم الحركة الاجتماعية بمفهوم القوة الاجتماعية، والقدرة على التأثير وإحداث التغيير.²

وتعرّف الحركات بشكل عام؛ القيام بنشاطات وفعاليات مختلفة بهدف الدفاع عن مبدأ دحر الاحتلال وتحرير البلاد باستخدام خيار المقاومة (القتال والجهاد) ومحاولة تغيير الواقع المعاش إلى واقع أفضل من خلال محاربة الفساد والإصلاح واعتماد المرجعية الإسلامية (تاريخياً وفكرياً)، بهدف الوصول إلى السلطة في نهاية الأمر، وعليه؛ فإنه يقصد بالحركات الإسلامية، بأنها تلك الجماعات أو الأحزاب أو التنظيمات التي تنشط على الساحة السياسية، وتنادي بتطبيق قيم الإسلام وشرائعه في الحياة العامة والخاصة على حد سواء، وتناوئ في سبيل هذا المطلب الحكومات والحركات السياسية والاجتماعية الأخرى التي ترى أنها قصرت في امتثال تعاليم الإسلام أو خالفتها.³

ويقصد بالخطاب الإسلامي في هذا الإطار؛ هو ذلك الخطاب الذي يستند لمرجعية إسلامية من أصول دين الإسلام، القرآن والسنة، وأي من سائر الفروع الإسلامية الأخرى، سواء

² <http://www.killer-essays.com>

³ عبد الوهاب، الأفندي. الحركات الإسلامية: النشأة والمداول وملايسات الواقع، مبحث ضمن كتاب " الحركات الإسلامية وأثرها في الاستقرار السياسي في العالم العربي"، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، الطبعة الأولى، 2002، ص13.

أكان منتج الخطاب جماعة إسلامية أم مؤسسة دعوية رسمية أو غير رسمية أو أفراد متفرقون جمعهم الاستناد للدين وأصوله كمرجعية لرؤاهم وأطروحاتهم؛ لإدارة الحيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمؤسسية والثقافية التي يحيوها، أو للتعاطي مع دوائر الهويات القطرية أو الأمية أو دوائر الحركة الوظيفية التي يرتبطون بها ويتعاطون معها⁴.

وتلعب الحركات الإسلامية المعاصرة - بشقيها السياسية والجهادية - دوراً أساسياً في الحياة السياسية المعاصرة نظراً لما تتمتع به من قدرة كبيرة على تنظيم وتعبئة وحشد وتجنيد الجماهير، وقد أصبحت هذه الحركات من أهم مكونات وفاعليات الحياة السياسية، ويرتبط ظهور الحركات الإسلامية ب بروز الظاهرة الإسلامية عموماً التي نمت وازدهرت عقب انهيار الأيديولوجيات القومية واليسارية بعد هزيمة حزيران 1967 التي شكلت صدمة هائلة للمنظمات الثورية أفقدتها رصيدها الشعبي، وأذنت بظهور ما يعرف بـ "الصحو الإسلامية" التي ساهم في شيوعها وانتشارها عوامل داخلية وخارجية، وشكلت القضية الفلسطينية أحد أهم محاور خطاب الجماعات والحركات الإسلامية، ولا يخلو أي خطاب من خطابات تلك الحركات من ذكر المسألة الفلسطينية باعتبارها قضية إسلامية مركزية، ولعل المتتبع للقضية الفلسطينية وتعقيدات تركيب الحركة الوطنية يعلم سبب تأخر دخول الحركات الإسلامية إلى الساحة السياسية الفلسطينية والتي ساهمت الدول العربية والإدارة الأمريكية وقبلها البريطانية بالإضافة إلى الدولة العبرية في طمس الهوية الإسلامية للمقاومة الفلسطينية، التي كانت حاضرة بشكل أساسي في مقاومة الانتداب البريطاني، ويعتبر الشيخ عز الدين القسام قائد ثورة 1935 أحد أهم رموز حركة المقاومة الإسلامية في حقبة الاستعمار البريطاني، كما لعب الحاج أمين الحسيني دوراً محورياً في الحفاظ على الهوية الإسلامية لفلسطين والذي كانت تربطه علاقات طيبة مع الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام 1928 الذي أرسل عدداً من شيوخ الجماعة إلى فلسطين بهدف تعزيز الجبهة الإسلامية العالمية وإنشاء فرع للجماعة في فلسطين.

⁴ وسام فؤاد. مدونة خاصة في الصفحات الإلكترونية، -www.wessamfauad.blogspot.com/2006/11/blog-spot.html-

فلسطين من الناحية التاريخية والعقدية:

تعتبر فلسطين جزءاً من سوريا الكبرى و تشغل القسم الجنوبي الغربي بما يعرف بـ "بلاد الشام" (سوريا، لبنان، الأردن، وفلسطين)، وتقع غربي آسيا على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وهي ذات موقع استراتيجي هام، إذ تعد صلة الوصل بين قارتي آسيا وأفريقيا، ونقطة التقاء جناحي العالم الإسلامي، وتحظى بقداسة لدى أتباع الديانات السماوية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلامية، لأنها مهبط الرسالات السماوية كلها، وتحظى بقداسة كبيرة خاصة لدى المسلمين كافة لأنها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

لذلك فقد كانت فلسطين هدفا ومطمعا دائما لدى معظم الدول الاستعمارية، بدءاً بالحمالات الصليبية الأولى والثانية والثالثة ووصولاً إلى السيطرة عليها وعلى بقية دول العالم العربي والإسلامي بصور مختلفة من الاستعمار المباشر في بعض الأحيان والانتداب في بعضها الآخر، وأصبحت فلسطين في دائرة اهتمام أطماع اليهود من اليوم الأول لإنشاء المنظمة الصهيونية العالمية وانعقاد مؤتمرها الأول في بال بسويسرا في 27-29 أغسطس 1897 بزعماء تيودور هر تزل، وقد تمكن "هر تزل" من إقناع الغرب عموماً وبريطانيا على وجه الخصوص بفكرة المشروع الصهيوني بإقامة دولة يهودية على أرض فلسطين، وحاول عبثاً إقناع الدولة العثمانية ببيعه فلسطين وإعطاء اليهود حكماً ذاتياً فيها تحت السيادة العثمانية، وفتح أبواب الهجرة اليهودية إليها مقابل عروض مالية مغرية، إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) رفض ذلك ووقف سداً منيعاً ضد المخطط الصهيوني⁵.

الحركات الإسلامية والقضية الفلسطينية بدايات على الطريق:

بدأت علاقة الحركات الإسلامية المعاصرة بالقضية الفلسطينية منذ تأسيس "المنظمة الجهادية" عام 1925 بزعماء الشيخ عز الدين القسام، وهي تنظيم جهادي سري، يستمد فهمه ومنهجه من الإسلام، ويعتبر الجهاد طريقاً وحيداً لإيقاظ فلسطين، واعتبر أميل الغوري هذا التنظيم بأنه أخطر منظمة سرية وأعظم حركة فدائية عرفها تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية، بل تاريخ الجهاد العربي الحديث، وغلب اسم "جماعة القسام"

⁵ صالح، محسن محمد. دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان، 2004.

أو " القساميون " على التنظيم بعد استشهاد الشيخ عز الدين القسام، وكان شعار التنظيم " هذا جهاد نصر أو استشهاد"⁶. وتعتبر حركة المقاومة الإسلامية "حماس" نفسها مكملية لمسيرة حركات المقاومة الإسلامية المعاصرة، وأنها حلقة من حلقات الجهاد في مواجهة الغزوة الصهيونية تتصل وترتبط بانطلاقة الشهيد عز الدين القسام وإخوانه المجاهدين من الإخوان المسلمين عام 1936، وتمضي لتتصل وترتبط بحلقة أخرى تضم جهاد الفلسطينيين وجهود جهاد الإخوان المسلمين في حرب 1948 والعمليات الجهادية للإخوان المسلمين عام 1968 وما بعده. وقد حمل اسم الجناح العسكري لحركة حماس الذي تأسس عام 1991 اسم " كتائب الشهيد عز الدين القسام " ترسيخاً منها في ربط تواصل مسيرتها الجهادية، وأن جماعة الإخوان المسلمين الجماعة الأم هي رائدة العمل الجهادي المقاوم للاحتلال بكافة أشكاله.

وموقف حركة "حماس" من فلسطين من الناحية الفكرية والسياسية يتمثل بأنها تعتبر أرض فلسطين أرض وقف إسلامي على أجيال المسلمين إلى يوم القيامة، لا يصح التفريط بها أو بجزء منها أو التنازل عنها أو عن جزء منها، ولا تملك ذلك دولة عربية أو كل الدول العربية، ولا يملك ذلك ملك أو رئيس، أو كل الملوك والرؤساء، ولا تملك ذلك منظمة أو كل المنظمات سواء كانت فلسطينية أو عربية، لأن فلسطين أرض وقف إسلامي على الأجيال الإسلامية إلى يوم القيامة⁷.

موقف الحركة الإسلامية في فلسطين المحتلة من المسجد الأقصى والقضية الفلسطينية:

تعتبر الحركة الإسلامية العاملة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، امتداداً لجماعة الإخوان المسلمين، وهي من الحركات الإسلامية - السلمية - التي تؤمن بأن التغيير يأتي من خلال العمل السياسي والدعوي طويل الأمد، وتعمل وفق القانون الساري ضمن أراضي الداخل الفلسطيني المحتلة عام 1948م، ولا تستخدم المقاومة المسلحة في تغيير الواقع المعاش، بل تلجأ إلى الوسائل اللاعنفية في تحقيق أهدافها وغاياتها.

⁶ ياسين، صبحي. الثورة العربية الكبرى في فلسطين، ص 23.

⁷ ميثاق حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، المادة الحادية عشر، المركز الفلسطيني للإعلام.

ولا تختلف رؤيتها تجاه القضية الفلسطينية والمسجد الأقصى والأوقاف الفلسطينية الإسلامية من الناحية الفكرية والعقدية عن رؤية بقية الحركات الإسلامية المعاصرة بكافة أطرافها وتوجهاتها، إذ تعتقد الحركة الإسلامية⁸ أن المسجد الأقصى المبارك جزء لا يتجزأ من عقيدة المسلمين، فهو آية في كتاب الله؛ لقوله تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}، "ونحن نعتقد أن المسجد الأقصى هو تلك المساحة الواقعة بين الأسوار". ولتحقيق هذه الغاية، شهدت المعسكرات التربوية في الحركة الإسلامية منذ فترة مبكرة من تاريخ عملها الطلابي والعام ارتباطا بالمسجد الأقصى المبارك؛ حيث تقاطر الطلاب على المسجد الأقصى مصليين ومرابطين، وارتفعت أهمية المسجد الأقصى المبارك في وجدان الحركة الإسلامية مع ارتفاع منسوب العمل السياسي لديها، إذ إن الحركة الإسلامية شرعت تهتم بالمسجد الأقصى المبارك مع اهتمامها بالأوقاف والمقدسات، وفور تشكيل الهيئة العليا للسلطات المحلية الإسلامية، والتي ضمت رؤساء السلطات المحلية العربية من أبناء الحركة الإسلامية في البلاد، وشملت أم الفحم، وكفر قاسم، وجلجولية، وكفر برا، ورهط، وبدأ الاهتمام بموضوع الأوقاف والمقدسات يأخذ حيزا واضحا من جلسات هذه اللجنة.

وبعد عامين فقط من تأسيس الهيئة شرع العمل على تأسيس جمعية تهتم بشئون الأوقاف والمقدسات، وأسست بناء على ذلك جمعية الأقصى لرعاية الأوقاف والمقدسات الإسلامية، وهدفت إلى الاهتمام بالأوقاف والمقدسات والمسجد الأقصى المبارك، ومنذ تلك اللحظة كانت الحركة قبل ذلك وعبر هيئتها تتواصل مع قطاعات المجتمع في الداخل الفلسطيني والضفة والقطاع، وتواصلت مع هيئة الأوقاف والإعمار ومع المجلس الإسلامي الأعلى في القدس⁹.

⁸ نداء الحركة الإسلامية، الأقصى والمقدسات والأوقاف في منظور الحركة الإسلامية، 15 أيار/ مايو 2009، يوم الغضب العالمي للقدس، ص 1.

⁹ أنظر بيان الحركة الإسلامية بمناسبة الذكرى 61 للنكبة الفلسطينية، والذي حمل عنوان: القدس تنادي، والذي دعت فيه لإضراب عام داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة بتاريخ 15 أيار 2009.

وتنطلق الحركة الإسلامية¹⁰ - الفلسطينية - في تعاطيها مع الأوقاف والمقدسات والأقصى المبارك على أن فلسطين أرض مقدسة بالكامل، وبموجب مقدساتها تصبح هذه الأرض وقفية بالكامل، ولذلك فإن هذه الوقفية تنعكس من حيث القداسة على كامل التراب ليس لكونه تراباً، بل لقدسية هذه الأرض، قال تعالى: {يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة} من عند الله تعالى إلى جانب المبركة التي حظيت بها هذه الأرض {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

الحركة الإسلامية والأوقاف

إن الحركة الإسلامية في الداخل الفلسطيني تنظر إلى الأوقاف والمقدسات من خلال ثلاث دوائر متكاملة، وليست منفصلة، بمعنى أن انفصال هذه الدوائر عن بعضها البعض يفضي إلى تفكيك شبكة المفاهيم المتعلقة بها أولاً، وإلى إمكانية التنازل أو التفاوض على بعضها، وهذه الدوائر هي:

1- الدائرة العقدية: وهي تعتبر أن أرض فلسطين أرض إسلامية حررت من الاحتلال البيزنطي بدم الصحابة، وجبلت ذراها بدماء الصالحين، وتعتقد الحركة الإسلامية أن أرض فلسطين أرض محرمة لا يعمر فيها ظالم، وأنها أرض الأنبياء، وأنها القبلية الأولى، وإليها أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تؤمن الحركة الإسلامية أن إسلامية فلسطين لا تزول عنها باحتلال الأرض، بل هي (مؤبدة) وتنطلق في هذه القناعات من نصوص قرآنية ونبوية وفقهية وتاريخية (أحداث ومجريات)، وواقع تعيشه البلاد منذ قرنين من الزمان.

2- وتنظر الحركة الإسلامية إلى أرض فلسطين على أنها وقف إسلامي¹¹، ينسحب عليها ما انسحب على أرض السواد في العراق عندما فتحت في عهد الراشد عمر أمير المؤمنين

¹⁰ تعتبر " الحركة الإسلامية" من أهم الحركات الإسلامية الفاعلة داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، ويعد الشيخ رائد صلاح من أبرز قياداتها السياسية والدعوية، وحدود نشاطها هي ما يسمى بمنطقة الخط الأخضر - الفلسطيني.

¹¹ تستند الحركة الإسلامية في موقفها من الأوقاف الفلسطينية إلى العديد من أقوال الفقهاء والعلماء القدامى والمعاصرين، ومن بين هذه الأقوال قول الماوردي في الأحكام السلطانية في الأرض المفتوحة صلحاً إنها تكون للمسلمين، ويقر أهلها عليها بالجزية والخراج المعلومين: [أن يصلحهم على ملك الأرض لنا - أي المسلمين - فتصير بهذا الصلح وقفاً من دار الإسلام، فلا يجوز بيعها ولا رهنها ويكون الخراج أجرة لا يسقط بإسلامهم، فيؤخذ خراجها إذا انتقلت إلى غيرهم من المسلمين، وفي هذا يعلق الأستاذ محمد عثمان شبيب فيقول: [...] وبناء على هذا الحكم الذي قدره الفقهاء، فإن أرض فلسطين التي فتحت بعضها عنوة وبعضها صلحاً قد دخلت في دار الإسلام منذ ذلك الفتحة، وطبقت عليها أحكام الإسلام..."، ولأن قسماً كبيراً من أرض فلسطين حوزية (أميرية)، فإنها بذلك تكون [أرض فلسطين] أرضاً وقفية بغالبيتها بحكم الوقف الذري من جهة، وبحكم حوزيتها من جهة أخرى: [الأرض الحوزية، اصطلاح أطلقه متأخروا الأحناف، ويسمون أيضاً الأرض الأميرية، وهي الأرض التي مات عنها صاحبها أو أربابها بلا وارث، أو آلت إلى بيت

رضي الله عنه، ومعلوم أن أرض فلسطين فتحت صلحاً وعنوة، وقد قال ابن الأثير في الكامل أن أرض الشام فتحت صلحاً إلا قيسارية [قيسارية والساحل حتى غزة] افتتحت عنوة.

حزب التحرير الإسلامي:

ارتبط اسم حزب التحرير باسم مؤسسه الشيخ "تقي الدين النبهاني"، الذي عمل عام 1952 على تأسيسه، وتفرغ لإدارة شؤونه وقيادته، حيث استقال من التعليم، وتنقل بين فلسطين والأردن وسوريا، ثم استقر في لبنان وبقي في بيروت إلى أن توفي أواخر عام 1977، وكان النبهاني قد بدأ العمل العام بالانتماء إلى جمعية "الاعتصام" التي أسسها الشيخ محمد نمر الخطيب في حيفا عام 1941، وتولى منصب نائب الرئيس، وقد حددت الجمعية هدفها في مجال الإصلاح ومحاربة الفساد الاجتماعي كمكافحة البغاء والخمر والمقامرة، وبعد انتشار جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين وافتتاح أول فرع لها في القدس بتاريخ 1945/10/26، زار وفد من الإخوان المصريين حيفا، وكان الوفد يضم سعيد رمضان صهر مؤسس الجماعة ومرشدها الشيخ حسن البنا، وحاول الوفد إقناع جمعية الاعتصام بالانضمام إلى الإخوان، وانضم أكثر أعضائها إلى صفوف الإخوان، ورفض الشيخ الخطيب رئيس الجمعية ونائبه الشيخ النبهاني الانضمام¹²، وعن طريق الشيخ عبد العزيز الحياط¹³ الذي كان من أوائل الإخوان في فلسطين التقى النبهاني عام 1946 بالحياط حيث أثنى النبهاني على الشيخ حسن البنا الذي كان قد عرفه في مصر، لكن أخذ عليه "ضباية فكرة إعادة الإسلام إلى الحكم"¹⁴، ولكن الحياط يأخذ على النبهاني أن حديثه كان "ضباياً إذ كان يدعو إلى العروبة أكثر من دعوته إلى الإسلام"¹⁵.

المال، أو فتحت عنوة أو صلحاً، أو لم تملك لأهلها، بل بقيت رقيتها للمسلمين إلى يوم القيامة، ولعلها سميت حوزية؛ لأن الإمام [رئيس الدولة الإسلامية] حازها لبيت المال ولم يقسمها، وأما ما فتح عنوة وقسم بين المسلمين فإنه يكون عشرياً، وأقرت أهله عليه خراجاً يؤدونه إلى بيت المال كحال أرض السواد في العراق، فإنها تكون ملكاً لأهلها عند الحنفية. أما الأرض التي فتحت عنوة وبقيت رقيتها للمسلمين فهذه عند المالكية وهو قوله الحنابلة، تكون وقفاً على المسلمين بمجرد الاستيلاء عليها، وقيل لا تكون وقفاً إلا بلفظ الإمام وهي رواية أحمد، وقد ذهب الإمام الماوردي وأبو يعلى وابن القيم إلى أن هذا الوقف هو وقف اصطلاحى... قال ابن القيم: "ليس هذا الوقف المصطلح عليه، بل معنى وقفه أي عدم قسمته بين الغانمين..."، وبناء على ما تقدم فإن أرض فلسطين أرض وقفية بالكامل مع تفاوت في الفهم الاصطلاحي والفقهى والإجرائي للوقف، وبذلك فإن وقفها يقسم إلى ما يلي: وقف حوزي [أميري]، وقف ذري، وقف عام، خيرى، أرض وقفية،

(12) محسن محمد صالح: "التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948"، مكتبة الفلاح، الكويت، ص 444.

(13) يعتبر الدكتور عبد العزيز الحياط من أوائل الأعضاء الذين ساهموا في بناء وتأسيس حزب التحرير، إلا أنه انسحب من الجماعة لاحقاً. وتسلم حقيبة وزارة الأوقاف والمقدسات الإسلامية في الأردن في خمس حكومات متتالية من 1973 إلى 1989، انظر: لقاء مع الحياط أجراه فيصل الشبول، مجلة "الوسط" لندن 1995/7/10، العدد 180، ص 30.

(14) يؤكد الشيخ عبد الله عزام أن النبهاني كان كثير الثناء على الإخوان المسلمين والشيخ حسن البنا، ويعتبر عزام من أكثر الإخوان انتقاداً للنبهاني فقد أصدر كتاباً باسم مستعار ووجه فيه نقداً لاذعاً لحزب التحرير، انظر: صادق أمين: "الدعوة الإسلامية:

اهتم حزب التحرير الإسلامي بالقضية الفلسطينية منذ تأسيسه، حيث ألف النبهاني ثلاثة كتب، توشح على توجهه الإصلاحي التوفيقي القومي الإسلامي، ويعتبر كتاب "نظام المجتمع" أول المؤلفات التي أصدرها النبهاني بحدود عام 1949¹⁶، وثانيهما كتاب: "إنقاذ فلسطين" الذي صدر عام 1950 والذي بين فيه وجهة نظره وموقفه من تحرير فلسطين، وثالثهما كتاب "رسالة العرب" الذي صدر في آب 1950¹⁷، وقد اعتبر الكتاب الأخير لمدة قصيرة من كتب الحزب، ثم استغني عنه بعد ذلك¹⁸.

لا يرى الحزب حلاً للقضية الفلسطينية سوى القضاء التام على إسرائيل، وإفناء اليهود، وقد بين الحزب هذا الموقف عبر كتابه المفتوح والذي وجهه للرؤساء والملوك العرب آنذاك: أنور السادات، حافظ الأسد، الحسين بن طلال، خالد بن عبد العزيز، أحمد حسن البكر، ياسر عرفات، وبقية الحكام في البلاد الإسلامية ومنها العربية، المؤرخ في 1978/1/8، حيث قال الحزب في هذا الصدد: "وما من أمة ذات عراقية وحضارة عظيمة تقبل أن تهزم أمام شرادم جمعت من آفاق الأرض، بل تستمر في مقاتلة تلك الشرادم حتى تفنيهم، وتعفي على آثارهم مهما لحقها من انكسارات في المعارك معهم، ويرى الحزب أن القضاء على إسرائيل هو من أهم مهمات دولة الخلافة المأمولة، وإذا تحركت الجيوش العربية للقيان بمهمة التحرير، فإن الحزب بأعضائه وأنصاره سيكونون مع هذا الجيش، وسيقاتلون تحت لوائه حتى ولو لم يكن لواءً إسلامياً.

ونجد في أدبيات الحزب الكثير من الإشارات لضرورة تحرك الجيوش العربية بهذا الاتجاه، ومنها حديثه في عدد آذار من هذه السنة لمجلة الوعي عن تحريك الجيوش لنصرة الأقصى، وكان الحزب في أدبياته المبكرة قد أدان اتفاقات وقف إطلاق النار بين الدول العربية وإسرائيل، وأعتبر الموافقة عليها إثماً ارتكبه الدول العربية¹⁹.

(15) فريضة شرعية وضرورة بشرية: جمعية عمال المطابع، عمان، 1976، ص 92.
د. فيصل دراج وجمال باروت، تحرير: "الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية" المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، الطبعة الرابعة، 2006، الجزء الثاني، ص 45.

(16) يرجع هذا الاحتمال أن النبهاني نفسه أشار إلى هذا الكتاب في مؤلفه الآخر "إنقاذ فلسطين"، الذي صدر كما هو مذكور في المقدمة بتاريخ 24 كانون ثاني 1950.

(17) انظر صادق أمين: "الدعوة الإسلامية" مرجع سابق، ص 92.
(18) انظر المقدمة التي كتبها نمر المصري لكتاب النبهاني: "النظام الاجتماعي في الإسلام"، مطابع صادر ريداني، بيروت، 1952، ص 4، وقد عمل الحزب على طبع الكتاب بدون مقدمة نمر المصري في طبعاته اللاحقة. انظر الطبعة الرابعة من الكتاب من منشورات حزب التحرير الصادرة عن دار الأمة، 2003، وقد ذيلت الطبعة بعبارة (معتمدة).

(19) من منشورات وبيانات حزب التحرير الإسلامي، موقع العقاب على شبكة الإنترنت،

<http://www.alokab.info/forums/index.php?showtopic=33181&start=0&p=200347&#entry200347>

موقف الحزب من منظمة التحرير ومن اتفاقات أوسلو :

يعتبر حزب التحرير منظمة التحرير الفلسطينية صناعة أمريكية، وضمن موقفه العام الرفض لأي اعتراف بدولة إسرائيل، ولأي اتفاق سلام معها، حيث رفض الحزب بشدة اتفاقات أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية، بصفتها ممثلاً للشعب الفلسطيني، وبين إسرائيل، وقال الحزب في بيانه الذي صدر في 4/5/1994 عقب التوقيع على اتفاقات القاهرة: "اليوم تم تمرير فصل من فصول مهزلة المؤامرة الخيانة العظمى على فلسطين وشعبها وعلى المسلمين جميعاً بتطويع الخائن الأكبر ياسر عرفات اتفاق تطييق الحكم الذاتي في قطاع غزة ومنطقة أريحا الاستسلامي، وفي حفل مسرحي ضخم، أقيم في القاهرة عند عميل أمريكا وسمسارها الأكبر حسني مبارك، برعاية أمريكا القرصان الأعظم، حاضنة اليهود، ورأس التآمر على فلسطين وأهلها، وعلى الإسلام والمسلمين." وكان الحزب قد أصدر بياناً في 1988/11/13 معلقاً على انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني بالجزائر، لإعلان الاعتراف الصريح بدولة إسرائيل، وأعتبر هذا- بحسب الحزب- "استجابة لشروط أمريكا وإسرائيل، لتقبل أمريكا التحدث مع المنظمة وإشراكها في مفاوضات الصلح مع إسرائيل. وقال البيان: "ولما كانت المنظمة، وعلى رأسها الخائن الأكبر، ياسر عرفات تدرك مدى خطورة هذا الإعلان، وما فيه من الخيانة الساخرة، والاستسلام المخزي، لجأت إلى عقد دورة طارئة للمجلس الوطني الفلسطيني، وعقب التوقيع على اتفاقات أوسلو أصدر الحزب بياناً آخرأ في ذروتها، وأقدم ياسر عرفات ومنظمة التحرير على ارتكاب الخيانة العظمى، والجريمة الكبرى، جريمة التوقيع على صك الاستسلام والتنازل لليهود عن فلسطين، وبذلك يكون ياسر عرفات ومنظمة التحرير قد حقق الغرض الذي أنشأت أمريكا منظمة التحرير من أجله، فمنظمة التحرير لم تنشأ لتحرير فلسطين من اليهود، وإنما أنشأت من أجل التنازل عن فلسطين لليهود، وما قامت به من تطويع إتفاف "غزة وأريحا أولاً" والاعتراف المتبادل.. لهما أسطع برهان على ذلك"²⁰.

²⁰ المرجع السابق، موقع العقاب.

أما موقف الحزب من حركة "حماس" فقد بينته أدبياته من خلال اعتبارها أن الخلاف النظري والسياسي العملي مع جماعة الإخوان المسلمين قد دفع حزب التحرير في فلسطين نحو الابتعاد عن حركة حماس وأنشطتها، ونحو عدم الثقة بسياساتها ومواقفها، وحيث أن حزب التحرير يقف موقفاً صارماً من الاعتراف بإسرائيل، فإن موقف حماس الأخير بعد دخولها في حلبة التنافس على زعامة السلطة الوطنية الفلسطينية، وحدث تغير في خطابها ولهجتها السياسية حسب مقتضيات موقعها الجديد، قد جرّ الانتقاد العلني والصريح لها من الحزب. علقت مجلة الوعي، التي تمثل أفكار الحزب من خلال مساهمات أعضائه، على مسألة الاعتراف بإسرائيل في عددها الصادر في تشرين الثاني 2006 بالقول: عباس يقول نعم للاعتراف بإسرائيل، وهنية لا يفكر بقول لا ولا بقول نعم، وإنما يقول لعم، أما بالنسبة لاتفاق مكة الأخير بين حركتي فتح وحماس تحت رعاية الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز، فإن الحزب غير متحمس لهذا الاتفاق ولا يرى فيه خيراً للمسلمين ولا لقضية فلسطين، وقد علقت مجلة الوعي في كلمتها الاقتصادية لعدد آذار 2007 على قرارات واتفاقات مكة قائلة: "إنه لأمر واضح جلي ذي عينين أن كل هذه القرارات والاتفاقات تقر وتعترف بدولة يهود، وهي مقدمة لإزالة بقايا ورقة التوت - إن ظلت لها بقايا - التي كانت تغطي المناورات اللفظية ليحل محلها الاعتراف المباشر دون أية قصاصة من ورق!" وتستطرد الافتتاحية باعتبار التوقيع على اتفاق مكة "كارثة"، وترى أن ما زاد في فظاعة هذه الكارثة وجرأها على دين الله أنها وقعت في الشهر الحرام وفي البلد الحرام، والجريمة فيه أشد من غيره، أن موقعها قد صنعوا لها عملية إخراج من خلال تصعيد اقتتال أهل السلطة (فتح) وأهل الحكومة (حماس)، وسفك الدماء البرينة لإدخال الرعب في قلوب أهل فلسطين ليقبلوا بالاتفاق الكارثة حقناً للدماء"، وأن الإقرار والاعتراف بإسرائيل قد جاء في وقت يتصاعد فيه إجرامها في حفریات المسجد الأقصى²¹.

يمكن القول بأن حزب التحرير الإسلامي، من الجماعات والأحزاب التي تستخدم وسيلة الممانعة السياسية فقط في بيان مواقفه وردود أفعاله، ولا يمتلك رؤية عملية في سبيل تحرير فلسطين، إذ أنه لا يؤمن بوسيلة القتال كأحد وسائل التغيير، التي تتبع من الناحية التنظيمية والحركية للحزب، بل يعتبر استراتيجيته في التغيير مرتبطة بحصول انقلاب عسكري

²¹ المصدر السابق، موقع العقاب.

يستخدم جيوش النظم السياسية القائمة، لإقامة الخلافة وهو الهدف الأساس الذي يسعى الحزب لتحقيقه، ثم تأتي مسألة تحرير فلسطين بعد إقامة الخلافة والانطلاق لتحريرها، وقد حدد الحزب ثلاث مراحل لقيام الدولة: الأولى: مرحلة التثقيف لإيجاد أشخاص مؤمنين بفكرة الحزب وطريقته لتكوين الكتلة الحزبية، والثانية: مرحلة التفاعل مع الأمة لتحميلها الإسلام، حتى تتخذ قضية لها، كي تعمل على إيجاده في واقع الحياة، والثالثة: مرحلة استلام الحكم، وتطبيق الإسلام تطبيقاً عاماً شاملاً، وحمله الرسالة إلى العالم، ويعتبر الحزب بسبب مواقفه السياسية المتعنتة من الأحزاب السياسية الإسلامية الراديكالية.

حركة المقاومة الإسلامية "حماس" والقضية الفلسطينية:

خرجت حركة المقاومة الإسلامية "حماس" من رحم جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين، والتي كانت من فروع الجماعة الأم الخارجي بعد فترة وجيزة من التأسيس، وقد عرفت الحركة عن نفسها على اعتبار أنها أحد أجنحة الجماعة في فلسطين، حيث قالت في هذا الصدد: حركة "حماس" كما جاء في المادة الثانية من ميثاقها الذي أعلنته بتاريخ 18 آب 1988 " حركة المقاومة الإسلامية جناح من أجنحة الإخوان المسلمين بفلسطين. وحركة الإخوان المسلمين تنظيم عالمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث، وتمتاز بالفهم العميق، والتصور الدقيق والشمولية التامة لكل المفاهيم الإسلامية في شتى مجالات الحياة، في التصور والاعتقاد، في السياسة والاقتصاد، في التربية والاجتماع، في القضاء والحكم، في الدعوة والتعليم، في الفن والإعلام، في الغيب والشهادة وفي باقي مجالات الحياة"²².

وتعتبر حركة "حماس" في ميثاقها التأسيسي؛ أنه لا حل للقضية الفلسطينية إلا بالجهاد، أما المبادرات والطروحات والمؤتمرات الدولية، فمضيعة للوقت، وعبث من العبث، والشعب الفلسطيني أكرم من أن يعبث بمستقبله، وحقه ومصيره، وموقف الحركة من التحرير هو تحرير فلسطين كل فلسطين وليس أي جزء منها، بل ترفض المساومة في الدخول بمفاوضات وأطروحات التسوية والتي تعني - بحسب موقفها - التنازل عن قواعد ومبادئ

²² ميثاق حركة المقاومة الإسلامية "حماس"، أنظر الموقع الإلكتروني للمركز الإعلامي الفلسطيني <http://www.palestine-info.info/arabic/hamas/>

أساسية في الصراع العربي - الصهيوني ويعني بالضرورة الاعتراف بالكيان الصهيوني وحقه في الوجود فوق أرض فلسطين، وكذلك التنازل لهم عن الجزء الأكبر من فلسطين²³. وترتبط حركة حماس بعلاقات متينة مع الحركات الإسلامية والوطنية وتعتبرها ظهيراً لها في صراعها مع العدو الإسرائيلي، وتتخذ موقفاً إيجابياً بعلاقتها مع الأنظمة العربية ولا تتدخل في شؤونها ولا تسعى للوصول إلى السلطة في أي بلد عربي، وقد شاب علاقتها مع الأردن نوع من تعكير صفو العلاقة، بعد نفي بعض قادة الحركة إلى خارج الأردن بسبب انتمائهم ونشاطاتهم الموالية لحماس عام 1999، وكذلك فإن علاقتهم مع منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الوطنية الفلسطينية بنيت على أساس التعاون والاحترام المتبادل وعدم التصادم وهي مثل علاقة الابن من أبيه والأخ من أخيه والقريب من قريبه، يتألم لألمه إن أصابته شوكة، ويشد أزره في مواجهة الأعداء ويتمنى له الهداية والرشاد، مع تأكيد الحركة وقادتها دائماً بأنهم لن يرضوا أن تكون الدولة الفلسطينية دولة علمانية، ويوم تتبنى منظمة التحرير الفلسطينية الإسلام كمنهج حياة، فنحن جنودها ووقود نارها التي تحرق الأعداء. فإلى أن يتم ذلك - ونسأل الله أن يكون قريباً²⁴، إلا أن هذا الموقف تغير من الناحية العملية على خلفية سيطرة حركة حماس على قطاع غزة بالقوة، الأمر الذي دفع بالسلطة الفلسطينية إلى قطع كل أبواب الحوار والتفاهم مع الحركة، بسبب الخلاف على النفوذ والسيطرة في قطاع غزة.

وقد بينت حركة "حماس" موقفها من المؤتمرات الدولية ومشاريع التسوية مع الكيان الصهيوني، بقولها: وتثار من حين لآخر الدعوة لعقد مؤتمر دولي للنظر في حل القضية، فيقبل من يقبل ويرفض من يرفض لسبب أو لآخر مطالباً بتحقيق شرط أو شروط، ليوافق على عقد المؤتمر والمشاركة فيه، وحركة المقاومة الإسلامية لمعرفتها بالأطراف التي يتكون منها المؤتمر، وماضي وحاضر مواقفها من قضايا المسلمين لا ترى أن تلك المؤتمرات يمكن أن تحقق المطالب أو تعيد الحقوق، أو تنصف المظلوم، وما تلك المؤتمرات إلا نوع من أنواع تحكيم أهل الكفر في أرض المسلمين، ومتى أنصف أهل الكفر أهل الإيمان؟ ﴿وَلَنْ

²³ المصدر السابق، ميثاق حركة حماس.

²⁴ المصدر السابق نفسه.

تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَكِنَّ آتَبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿البقرة: 120﴾.

وبدو أن بداية التحول السياسي لحركة المقاومة الإسلامية "حماس" كان من خلال إعلان القاهرة الذي وقع عليه اثنا عشر فصيلاً فلسطينياً برعاية مصرية في آذار عام 2005، وسمي بإعلان القاهرة لا باتفاق القاهرة الذي حلت بين بعض الأنظمة العربية والسلطة الفلسطينية عام 1996، وقد أفضى ذلك إلى إعلان حركة "حماس" عن تهدئة طويلة الأمد وليس هدنة طويلة الأمد، ومصطلح التهدئة يعني وقف العمل العسكري بشكل مؤقت ودون اتفاق مع الطرف الآخر (العدو الصهيوني)، سواء تم الاتفاق بشكل مباشر أم غير مباشر، وهو ما تم بالفعل بشكل غير مباشر، مما يعني أنه تهدئة وليس هدنة، وقد أصرت حركة حماس على استخدام مصطلح التهدئة وليس الهدنة، ووضعت تهدئتها بصورة مشروطة بوقف العدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني، وإطلاق سراح الأسرى والمعتقلين، والجدية في التزام الطرف الصهيوني بشروط التهدئة على الأرض.

ويقول محمد نزال عضو المكتب السياسي لحركة حماس بنفس السياق: لقد سجلت فصائل المقاومة موقفاً مسؤولاً، عندما قدرت الظرف السياسي في بدايات عهد محمود عباس، بأنه يستلزم مبادرة سياسية تزيل الاحتقان في الساحة الفلسطينية، وتقذف بالكرة من الملعب الفلسطيني إلى الملعب الصهيوني، وتحقيق هدوءاً يلتقط خلاله شعبنا أنفاسه، ويضمّد جراحه، ويستريح المقاتلون فيه "استراحة المحارب"، ولكن المكر الصهيوني، والعجز الفلسطيني والعربي والإسلامي الرسمي، ولأن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، فإن الدرس البليغ، هو ضرورة استمرار المقاومة استمراراً مدروساً، ومرشداً ومهدفاً، ولكن دون عهود، ووعود، والتزامات، فنحن أصحاب مسؤولية تلزمنا العهود - لا كغيرنا - إلزاماً دينياً وأخلاقياً²⁵ (إنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُلاً) {الاسراء: 24}.

"السلفية التقليدية" و"الدعوة والتبليغ" و"الصوفية" والقضية الفلسطينية:

²⁵ نزال، محمد، مجلة البيان، السنة العشرون، العدد 220، يناير 2006، ص 46.

وتعتبر حركة حماس (جناح حركة الإخوان المسلمين في فلسطين)، كبرى الحركات الإسلامية في فلسطين، وتستحوذ على غالبية القاعدة الجماهيرية، وتلي حماس حركة الجهاد الإسلامي، وتعتبر هاتان الحركتان هما الأبرز في ممارسة الكفاح المسلح ضد الكيان الصهيوني²⁶.

وبجانب حماس والجهاد الإسلامي، توجد جماعات وتيارات ذات توجه إسلامي أيضاً، ولكنها لا تتبنى فكرة الجهاد المسلح ضد "إسرائيل"، أو لا تمارسه على الأقل على الأرض، وتعتبر هذه الجماعات محدودة نسبياً في فلسطين، وتقتصر على تجمعات متفرقة ليس لديها حضور جماهيري ملحوظ لدى الفلسطينيين.

ومن بين هذه الجماعات ما يُطلق عليهم بـ "السلفيون"، أو "أهل الحديث والأثر"، يشكلون نمطاً مختلفاً للتدين في فلسطين، وتنتشر أفكارهم بين بعض الشباب الفلسطيني، حيث يتجمعون في حلقات علم ومدارس حول علماء معينين، إذ أنهم يدرسون الحديث الشريف، وتخريجه، والتوحيد، وبعض علوم الشريعة، ويعتبر "أهل الحديث" الشيوخ ابن باز وابن عثيمين والألباني (رحمهم الله) مرجعيتهم الأساسية، إلى جانب هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، ويطلق المنتمون إلى الدعوة السلفية على باقي الحركات الفلسطينية ذات التوجه الإسلامي لقب "الحزبيين"، ويهتمونهم بتفرقة المسلمين، ويحذرون الناس من الانضمام إلى تلك الحركات، وكثيراً ما ينشأ جدال بين المنتمين لحركة حماس وبين من يحملون الفكر السلفي الذين ينتقدون الكثير من الدعاة والعلماء، أمثال يوسف القرضاوي ومحمد الغزالي، وسيد قطب، وغيرهم، ويعتبر السلفيون السلطة الفلسطينية (حكومة ورئيساً) ولي الأمر الذي تجب طاعته، ويؤمنون بالجهاد المسلح لتحرير فلسطين؛ لكنهم يرون أنه "لم يحن رجاله، وبحاجة إلى جيش وأمير يأذن بالجهاد"، وينكرون على الفصائل الأخرى جهادهم الفردي أو الجماعي، وحول موقف الدعوة السلفية من الجهاد المسلح لتحرير فلسطين، أكد الشيخ محمد حلس، أحد منظري الدعوة السلفية بغزة، أن دعوته تؤمن بالجهاد المسلح، وتعتبره من الواجبات، لكنها تراه في هذه الأيام قد حان وقته

²⁶ محمد الصواف، السلفيون والتبليغ: أوقفوا الجهاد الفلسطيني، إسلام أون لاين، www.islamonline.com

ولم يحن رجاله - على حد تعبيره - مشيراً إلى أن الجهاد له شروط وواجبات لم تتوفر بعد²⁷.

وتقتصر أنشطة السلفيين على حلقات العلم، وطباعة الكتب والمطويات، مبتعدين عن الحديث في السياسة، ومنهمكين في محاربة "البدع" وحث الناس على التخلص مما يعتبرونه "ممارسات شركية".

وأيضاً، لا يتدخل أفراد جماعة "الدعوة والتبليغ" في السياسة إطلاقاً، ولا يتحدثون عن الجهاد أو الحث عليه، إنما يركزون كل جهدهم على دعوة الناس إلى الالتزام بالعبادات والأخلاق الإسلامية، وحثهم على "الخروج في سبيل الله" - على حد تعبيرهم - لدعوة الناس وفق منهجهم، وتتميز جماعة التبليغ والدعوة بعلاقتها المسالمة مع كافة الفصائل الفلسطينية، كما تربطها علاقات مع مسئولين كبار في السلطة الفلسطينية، ويرفض مشايخ الجماعة - غالباً - الحديث لوسائل الإعلام عن جماعتهم، خوفاً من أن يسبب ذلك أية مشكلات للجماعة، ومع أن الجماعة لا تتحدث في الجهاد، إلا أن ذلك لا يمنع أن يخرج منها من ينتمي إلى حركات فلسطينية إسلامية مثل حماس والجهاد الإسلامي، وقد شارك بعضهم في عمليات مقاومة للاحتلال، وذلك كون الجماعة لا تفرض شروطاً على الراغبين في الانضمام إليها²⁸.

وتشارك الحركات "الصوفية" كذلك في الابتعاد نهائياً عن السياسة التي يمكن وصفها بالحركات الإسلامية السلمية التي تتخذ موقفاً سلبياً تجاه قضيتها وأمتها، وتركز نشاطاتها في الممارسات التعبدية الدينية الخالصة، وتتراوح تلك الممارسات بين الغلو في بعض الانحرافات التعبدية والعقدية، وبين الطقوس الخاصة بها التي تمثل لديها جهاد أكبر للنفس، وتعمل بمعزل تام عن التدخل في السياسة بغض النظر عن الظروف التي تمر بها البلاد وما يتعرض له العباد على يد الاحتلال الصهيوني.

حركة الجهاد الإسلامي:

²⁷ محمد الصواف، السلفيون والتبليغ: أوقفوا الجهاد الفلسطيني، إسلام أون لاين، www.islamonline.com

²⁸ مصدر سابق، انظر إلى تفاصيل الحوار مع محمد الصواف، موقع إسلام أون لاين.

تعتبر حركة الجهاد الإسلامي من الحركات الإسلامية - الوطنية، والتي تأسست على يد عدد من الطلبة الفلسطينيين الذين كانوا يدرسون في الجامعات المصرية، وكان أبرز هؤلاء الطلبة الدكتور فتحي الشقاقي، الذي انضم فيما مضى إلى جماعة الإخوان المسلمين في قطاع غزة، واختلف معها فيما بعد من الناحية المنهجية، النظرية والعملية، حيث قام بعد عودته إلى قطاع غزة عام 1981م، بمساعدة عبد العزيز عودة بتأسيس الحركة، التي رفعت شعاراً عاماً عبر عن منهجيتها في التغيير والتحرير مفاده "الإسلام منطلقنا، والجهاد وسيلتنا، وتحرير فلسطين هدفنا"، وتصف الحركة نفسها بأنها قامت على اعتبار أنها قوة تحديد داخل الفكر الإسلامي، وداخل الحركة الإسلامية على مستوى الفكرة والمنهج والتنظيم، وعلى مستوى الأداء داخل فلسطين²⁹.

ويمكن القول بأن حركة الجهاد الإسلامي من الحركات التي تنامت بشكل محدود، في ظل معطيات داخلية وخارجية، وكان من أهم العوائق حول محدودية تمدها وانتشارها هو عدم وضوح رؤيتها من الناحية الفكرية والعقدية في الاستناد إلى المرجعية الإسلامية، وبسبب علاقاتها المتينة مع إيران، مما أفقدها رصيداً شعبياً كبيراً في ظل تنامي قوة ونفوذ حركة حماس على المستوى الشعبي والرسمي.

ولا بد من الإشارة إلى أن حركة الجهاد الإسلامي كانت أحد ثلاث مجموعات عملت بنفس التسمية والتوجهات السياسية والجهادية، كان من بينها "الجهاد الإسلامي - بيت المقدس" التي ترعّمها المرحوم الشيخ أسعد بيوض التميمي، وبرز من قياداتها "إبراهيم سربل" الذي أعطى البيعة آنذاك للشيخ التميمي، وانشق فيما بعد عن الحركة وأثر حوله لغط كبير، أما المجموعة الأخرى والتي كانت تعمل في نفس السياق في تلك الفترة، فهي "سرايا الجهاد الإسلامي"، والتي برز من بين قياداتها شخصيات عسكرية فلسطينية، قام جهاز الموساد الصهيوني باغتيال بعضها، وعلى رأسها أبو حسن قاسم (محمد بحيص)، وحمدي (محمد باسم سلطان التميمي)، و منير شفيق الذي كان من أبرز منظريها ومفكريها³⁰.

القضية الفلسطينية في منظور السلفية الجهادية:

²⁹ محسن محمد، صالح. دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2004، ص ص 420-422.

³⁰ مصدر سابق، محسن صالح، ص ص 421-422.

شكلت القضية الفلسطينية أحد أهم محاور خطاب القاعدة السياسي منذ الإعلان عن تشكيل " الجبهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين " عام 1998، ولا تخلو بيانات تنظيم القاعدة وخطابات زعيمها أسامة بن لادن ومساعدته أيمن الظواهري من ذكر المسألة الفلسطينية باعتبارها قضية إسلامية مركزية³¹، وقد ساهمت هجمات الحادي عشر من سبتمبر في حضور القضية الفلسطينية بشكل مكثف على الرغم من الانتقادات الكبيرة التي تواجهها القاعدة بسبب عدم القيام بعمليات موجهة إلى داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة، وجاءت عملية القاعدة التي نفذتها في مدينة "مومباسا الكينية" في 28 تشرين الثاني 2002 ضد سياح إسرائيليين والتي ذهب ضحيتها أكثر من 15 قتيلاً بهجوم مزدوج كرد مباشر على جملة الانتقادات الموجهة للقاعدة بعدم استهداف الإسرائيليين، ولعل المتتبع للقضية الفلسطينية وتعقيدات تركيب الحركة الوطنية يعلم سبب تأخر دخول القاعدة والتنظيمات السلفية الجهادية إلى الساحة الفلسطينية فقد ساهمت الدول العربية والإدارة الأمريكية وقبلها البريطانية بالإضافة إلى الدولة العبرية في طمس الهوية الإسلامية الفلسطينية، التي كانت حاضرة بشكل أساسي في مقاومة الانتداب البريطاني³²، ويعتبر الشيخ عز الدين القسام قائد ثورة 1935 أحد أهم رموز المقاومة السلفية الجهادية في حقبة الاستعمار البريطاني، كما لعب الحاج أمين الحسيني دوراً محورياً في الحفاظ على الهوية الإسلامية لفلسطين والذي كانت تربطه علاقات طيبة مع الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين في مصر عام 1928 الذي أرسل عدداً من شيوخ الجماعة إلى فلسطين بهدف تعزيز الجبهة الإسلامية العالمية وإنشاء فرع للجماعة في فلسطين³³.

على الرغم من تأخر دخول تنظيم القاعدة والحركات السلفية الجهادية إلى فلسطين إلا أنه من الملاحظ أن معظم الحركات السلفية الجهادية التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي نشأت بضغوط وتأثير من شخصيات إسلامية فلسطينية في الشتات، وكانت أول تجربة لدخول الإسلاميين في خضم المقاومة المسلحة عام 1968 بعد حرب 5 حزيران 1967 وسقوط الضفة الغربية، حيث قام الإخوان المسلمون بإنشاء معسكرات خاصة في غور

³¹ ضياء رشوان، فلسطين في رؤية أسامة بن لادن، دليل الحركات الإسلامية في العالم، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، الطبعة الأولى، يناير/ 2006، الفصل العاشر.

³² أكرم، حجازي. رحلة في صميم عقل السلفية الجهادية: دراسة استطلاعية، بحث غير منشور، 2007، ص ص 122 - 139.

³³ محسن محمد، صالح. دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2004، ص ص 268 - 275.

الأردن عرفت باسم "معسكرات الشيوخ" وكان من أبرز رموزها الشيخ الفلسطيني عبد الله عزام، وشارك في هذه المعسكرات عدد من الإسلاميين من أقطار عربية وإسلامية مختلفة وقد نفذت هذه المجموعة عددا من العمليات استهدفت الدولة العبرية حتى أن الرئيس الراحل ياسر عرفات أثنى على عمليات معسكر الشيوخ في عدة مناسبات، إلا أن هذه التجربة لم تدم طويلا وأغلقت هذه المعسكرات عقب الصدمات الدامية التي حدثت بين النظام الأردني والمنظمات الفدائية الفلسطينية عام 1970 وترتب عليها خروج منظمة التحرير وباقي الفصائل الفلسطينية من الأردن واستقرارها في لبنان.

ويرتبط ظهور الحركات السلفية الجهادية ببروز الظاهرة الإسلامية عموما التي نمت وازدهرت عقب انهيار الأيديولوجيا القومية واليسارية بعد هزيمة 1967 التي شكلت صدمة هائلة للمنظمات الثورية أفقدتها رصيدها الشعبي، وأذنت بظهور ما يعرف بـ "الصحة الإسلامية" التي ساهم في شيوعها وانتشارها عوامل داخلية وخارجية، ويعتبر الدكتور صالح سرية من أوائل الفلسطينيين الذين آمنوا بالنهج السلفي الجهادي بعد أن يؤس من النهج الذي اعتمدته المنظمات الفلسطينية العلمانية، حيث ذهب إلى العراق والتقى مع الشيخ عبد العزيز البدرى وغيره من رموز الحركة الإسلامية في العراق من أجل تأسيس حركة جهادية إسلامية بهدف تحرير فلسطين، إلا أن هذه الحركة لم يكتب لها النجاح بسبب ملاحقة الإسلاميين في العراق من قبل الأجهزة الأمنية، وتمكن الدكتور صالح سرية من الهروب إلى مصر حيث عمل منذ وصوله إلى القاهرة على تأسيس تنظيم إسلامي جهادي بهدف قلب نظام الحكم الذي اعتبره خطوة مهمة في طريق تحرير فلسطين، إلا أن هذا التنظيم الذي عرف باسم "الفنية العسكرية" تم القضاء عليه عام 1974 وأعدم مؤسسه صالح سرية، ويمكن القول أن أطروحات الدكتور صالح سرية وعلى وجه الخصوص رسالة "الإيمان" كانت الأساس الأيديولوجي العقائدي لمعظم الحركات السلفية الجهادية في العالم العربي بشكل عام ومصر بشكل خاص، فقد تأثرت به الحركتين الرئيسيتين في مصر وهما "الجهاد" و "الجماعة الإسلامية"، ومن الشخصيات الفلسطينية التي ساهمت في تأسيس فكر حركة "الجهاد" محمد سالم الرحال الذي كان له دور مهم في تأسيس جماعات الجهاد في مصر، وقد أُلقي عليه القبض قبل اغتيال الرئيس

السادات عام 1981 وتم ترحيله إلى الأردن، وقد عمل الرحال على استئناف نشاطه في الأردن، وأسس تنظيماً جهادياً مسلحاً عرف باسم "تنظيم الجهاد الإسلامي" لم يلبث أن تم اعتقاله وتفكيكه من قبل الأجهزة الأمنية الأردنية عام 1984، وفي هذه الفترة تم تأسيس جماعة الجهاد الإسلامي في فلسطين بحكم الاتصال مع الحركات الجهادية في مصر وتأثير من صالح سرية ومحمد سالم الرحال، ويعتبر الدكتور فتحي الشقاقي وعبد العزيز عودة من مؤسسي الجهاد في فلسطين اللذان درساً في مصر، ومن المعروف أن شقاقي وعودة تأثرا بنموذج الثورة الإيرانية بقيادة الخميني عام 1979، وفي نفس الفترة أعلن الشيخ أسعد بيوض التميمي تأسيس جماعة الجهاد -بيت المقدس-، وفي نفس الفترة بدأت مجموعات مختلفة في فلسطين بتأسيس جماعات تتبنى العقيدة الإسلامية والحل الجهادي من أجل تحرير فلسطين، ففي داخل الخط الأخضر أسس الشيخ عبد الله نمر درويش "أسر الجهاد" الذي ألقى القبض عليه، وفي سجنه تراجع عن أفكاره وأعلن عن انتهاز حل سلمي في التعامل مع اليهود، كما تم في هذه الفترة تأسيس جناح عسكري لجماعة الإخوان المسلمين في غزة باسم "المجاهدون" ترأسه الشيخ صلاح الدين شحادة، الذي يعتبر نواة "كتائب عز الدين القسام" الجناح العسكري لحركة حماس، وقد ظهر في نفس الفترة أيضاً تنظيماً جهادياً عرف باسم "سرايا الجهاد" انبثق عن حركة فتح ومن أبرز رموزه محمد سلطان التميمي "حمدي" و محمد إبيص "أبو حسن قاسم" الذين تم اغتيالهما من قبل الموساد الإسرائيلي في مدينة "ليماسول" في قبرص عام 1988، وقد نفذت هذه المجموعات عدد من العمليات داخل الأراضي الفلسطينية، ومن الملاحظ أن هذه التنظيمات الجهادية الإسلامية الفلسطينية غلب عليها الطابع الوطني وليس العالمي، الأمر الذي سوف يتغير مع تأسيس القاعدة وعقب هجمات 11 أيلول، حيث بدأت نواة عولمة الجهاد تطال الداخل الفلسطيني³⁴.

³⁴ لمزيد من المعلومات حول القضية الفلسطينية في منظور الحركات الإسلامية، أنظر:
 - ناصر بن سليمان العمر، رؤية استراتيجية في القضية الفلسطينية، موقع الشيخ ناصر على شبكة الإنترنت، الجزء الأول، www.alomer.net.
 - محمد عز الدين القسام، وكامل قصاب، السلفيون والقضية الفلسطينية، إعداد وتقديم: مشهور بن حسن آل سلمان، نسخة إلكترونية، شبكة سحاب السلفية، www.sahab.net.
 - مصدر سابق، أكرم حجازي. رحلة في صميم عقل السلفية.
 - زياد أبو غنيم. الحركات الإسلامية وقضية فلسطين، دار البشير، عمان، 1984.
 - مصدر سابق، أبو مصعب السوري. دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.
 - حازم الأمين، صحيفة الحياة اللندنية، تاريخ النشر 4-5/4/2006.

ساهم دخول الاتحاد السوفيتي إلى أفغانستان عام 1979 في تنامي المشاعر والعواطف الجهادية في العالم العربي والإسلامي، وقد اعتبرت الأنظمة العربية والإسلامية الاحتلال الروسي لأفغانستان فرصة مناسبة للتخلص من فائض العنف الذي بدأ يهدد أنظمتها وشرعيتها، فعملت على تسهيل خروج الناشطين الإسلاميين والمتطوعين الجهاديين بالتعاون مع الولايات المتحدة التي رأت في الجهاد الأفغاني فرصة مناسبة للنيل من الاتحاد السوفيتي وإلحاق الهزيمة به، وعلى الرغم من تقاطع المصالح بين المجاهدين والأنظمة العربية والولايات المتحدة إلا أن أجندة الإسلاميين كانت مختلفة تماماً، فقد رأت الحركات الجهادية أن أفغانستان توفر فرصة مناسبة للقيام بواجب الجهاد "الفريضة الغائبة" ومرحلة مهمة للإعداد والتدريب من أجل القيام بالانقضاض على الأنظمة الحاكمة في العالم العربي، وكان الشيخ عبد الله عزام من أوائل الفلسطينيين الذين ذهبوا إلى أفغانستان وعمل على تأسيس "مكتب الخدمات" و"بيت الأنصار" ومهمته استقبال المتطوعين للجهاد في أفغانستان، وقام الشيخ عبد الله عزام بتقريب الفلسطينيين منه وكان يسعى إلى إنشاء منظمة جهادية في فلسطين وحشد المجاهدين في العالم من أجل تحرير فلسطين، ولعل هذا السبب كان وراء اغتياله في بيشاور عام 1989، ويعتبر الشيخ عبد الله عزام الأب الروحي للمجاهدين الجدد في العالم العربي والإسلامي ومن أكثر الشخصيات تأثيراً في زعيم تنظيم القاعدة "أسامة بن لادن"، الذي عمل على تقريب الفلسطينيين منه منذ فترة مبكرة مثل "أبو زبيدة الفلسطيني".

يحتل فلسطينيو الشتات مكانة مركزية في فكر الحركات السلفية الجهادية في العالم ومن أبرز الشخصيات الجهادية الفلسطينية الشيخ عمر محمود أبو عمر "أبو قتادة الفلسطيني" الذي يعتبر الأب الروحي للقاعدة في أوروبا وشمال أفريقيا، وإن كان ليس عضواً في القاعدة إلا أنه كان له دور كبير في إصدار الفتاوى والدراسات والمجلات التي تؤسس للفكر السلفي الجهادي العالمي، وكان داعماً للجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر وكذلك الجماعة الإسلامية المسلحة في ليبيا وغيرها من الحركات الجهادية في الشيشان

- بينو بونجورنو، هل تحولت سيناء إلى جبهة جديدة للجهاديين؟، المركز الدولي لدراسات أمريكا والغرب. على الشبكة:

www.icaws.org/site/modules.php?name=News&file=article&sid=6849 - 37k -

- مقالة أسد الجهاد: "توقيت دخول القاعدة إلى فلسطين"، عبر مراسل الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية،

(2008/1/29)، شبكة الحسبة الإسلامية، www.alhesbah.org.

وكشمير والمغرب، ومن الشخصيات الأساسية في وضع النظرية السلفية الجهادية الشيخ عصام البرقاوي "أبو محمد المقدسي" الذي أسس موقعاً إلكترونياً باسم "منبر التوحيد والجهاد" وله عشرات الدراسات والكتب التي تعد مرجعاً أساسياً للفكر السلفي الجهادي في العالم، وكان قد أسس مع أبو مصعب الزرقاوي تنظيم عرف باسم "بيعة الإمام" عام 1994، ولا يزال المقدسي يصدر فتاوى مختلفة في تأصيل الفكر السلفي الجهادي، واختلف مؤخراً مع الزرقاوي حول العمليات الاستشهادية واستهداف المدنيين، ومن الشخصيات التي برزت عقب الاحتلال الأمريكي للعراق الشيخ عمر يوسف جمعة "أبو أنس الشامي" الذي التحق بتنظيم "التوحيد والجهاد" في العراق الذي أصبح يعرف بـ "تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين" بزعامة أبو مصعب الزرقاوي، وساهم أبو أنس الشامي في وضع هيكليّة للتنظيم وتولى منصب مسؤول اللجنة الشرعية.

لا يتعدى الدور الذي تقوم به الحركات السلفية الجهادية المعاصرة في الحراك السياسي والعسكري والتنظيمي الفلسطيني عن الدور الإعلامي التحريضي والتوظيف السياسي للقضية الفلسطينية بما يخدم غايات وأهداف التنظيم بعيدة المدى في قتال اليهود، حيث لم يتشكل لغاية هذه اللحظة تنظيماً - فلسطينياً - يحمل التسمية التي تعكس مبادئه لتنظيم القاعدة المركزي، سوى اقتراب تنظيم "جيش الإسلام" من الناحية العقيدية والفكرية منه، الذي لا يتوافر لغاية الآن على إمكانيات مادية ومعنوية وانتشار وقبول تؤهله للإعلان عن نفسه بتمثيل السلفية الجهادية في فلسطين، وهذا ما دفع بمنظر السلفية الجهادية الأول في الأردن وفلسطين "أبو محمد المقدسي" إلى توجيه رسالته الأخيرة التي حملت عنوان "بيت المقدس في القلب"، اهتم فيها قادة التيار السلفي الجهادي العالمي بالتقصير تجاه القضية الفلسطينية من الناحية العملية³⁵.

وهناك بعض الحركات الإسلامية المسلحة الصغيرة، التي نشأت في فلسطين وتقترب من الخطاب السلفي الجهادي إلى حد كبير، ومن هذه الحركات، جيش الأمة، وجيش الأقصى، وكتائب التوحيد، وغيرها من المسميات، ولم يشهد تنامياً ملحوظاً لهذه الجماعات، سوى تزايد في نشاطات ما يطلق على نفسه "جيش الأمة" الذي ينشط في قطاع غزة.

³⁵ أبو محمد المقدسي. "بيت المقدس في القلب"، منبر التوحيد والجهاد، www.tawhid.ws

الخاتمة :

يبدو أنه ليس من الغريب أن أحرزت الحركات الإسلامية، في المجتمعات العربية والإسلامية المنفتحة حديثاً على التطور الديمقراطي، إنجازات سياسية ونجاحات انتخابية كبيرة، في عدة بلدان عربية كمصر ولبنان وفلسطين وتركيا، وبغض النظر عن تفاصيل الاختلافات بين تجربة وأخرى في الاستفادة ليس فقط من حالة الفراغ السياسي التي خلفتها الممارسات الإستبدادية لعقود كثيرة سابقة، وإنما أيضاً من المناخ المحلي والدولي المحبذ والضابط للتغيير الديمقراطي³⁶، وفي هذا السياق يشير تقرير مؤسسة "راند" الأمريكية للأبحاث وعنوانه "مستقبل البيئة الأمنية في الشرق الأوسط - النزاع والاستقرار والتغيير السياسي" بوضوح إلى الديمقراطية، ويبين التقرير بتفصيلاته خطط المؤسسة العسكرية الأمريكية تجاه منطقة الشرق الأوسط، والذي يحدد المصالح الأمريكية في المنطقة بمواجهة الإرهاب، ومواجهة انتشار أسلحة الدمار الشامل، والحفاظ على إمدادات وأسعار مستقرة للنفط، وتأمين استقرار أنظمة الحكم الصديقة، ودعم الديمقراطية وحقوق الإنسان³⁷.

لقد تمكنت حركة "حماس" خلال العقدين الماضيين من تحقيق انتصارات كبيرة داخل الضفة والقطاع على حساب القوى والحركات التاريخية التي فقدت بريقها بفعل عوامل ذاتية داخل هذه الحركات وداخلية وخارجية حيث تبنت حماس منهجاً متوازناً يضع المسألة السياسية في موازاة مسألة المقاومة الأمر الذي مكنها خلال فترة وجيزة من استقطاب الشارع الفلسطيني في الداخل والخارج وجعلها تتمتع بمصداقية كبيرة في الأوساط الشعبية الفلسطينية والعربية والإسلامية في وقت كانت تخسر فيه بقية القوى الأخرى مصداقيتها وفعاليتها، ويأتي هذا النجاح الكبير لحماس كنتيجة مباشرة لفشل سياسات السلطة الفلسطينية في تحقيق التنمية والحرية والأمن للشعب الفلسطيني فضلاً عن انتشار الفساد والمحسوبية في صفوف السلطة الفلسطينية كما أن فشل إستراتيجية السلطة في التعامل مع الكيان الإسرائيلي والولايات المتحدة في العملية التفاوضية التي أدت إلى فقدان الشعب الفلسطيني لجملة من حقوقه التاريخية والسياسية منذ اتفاقيات أوسلو

³⁶ حرب، أسامة. مجلة السياسة الدولية (رياح التغيير تهب على العالم العربي)، العدد 163-يناير 2006، ص7.
³⁷ مجلة المستقبل العربي (مستقبل البيئة الأمنية في الشرق الأوسط- تقرير راند)، العدد 306، آب 2004، ص180.

1993 وحتى خارطة الطريق ، كل هذه الأسباب أدت بصورة حتمية إلى توليد قناعة لدى الشارع الفلسطيني بعدم جدوى الطريقة التفاوضية واستراتيجية السلطة في تحصيل مكاسب حقيقية للشعب الفلسطيني حيث أثبتت حماس أن المقاومة هي الطريق الأسلم في تحقيق المكاسب والتي أثمرت خروج إسرائيل من قطاع غزة بفعل ضربات هذه المقاومة وليس بفعل العملية التفاوضية الفاشلة ، كما أن تصلب وتعنت إسرائيل في الالتزام بتنفيذ الاتفاقيات المبرمة مع السلطة الفلسطينية وعدم جدية اللجنة الرباعية (الولايات المتحدة ، الاتحاد الأوروبي ، روسيا ، الأمم المتحدة) وخصوصا الولايات المتحدة في الالتزام بمبدأ السلام العادل وإقامة الدولة الفلسطينية والانحياز الكامل للرؤية الإسرائيلية ، أدى ذلك إلى إفشال سياسات السلطة الفلسطينية وإظهارها بمظهر العاجز والمفرط بالحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني ولعل هذه الأسباب جميعا ساهمت بوصول حماس بقوة إلى الفوز بأغلبية مقاعد المجلس التشريعي والذي عبر عن انحياز الشارع الفلسطيني إلى خيار المقاومة وعدم التفريط بالكرامة الفلسطينية .

ومن المرجح أن التحولات السياسية التي تشهدها حركة المقاومة الإسلامية "حماس" في فلسطين، سوف تساهم في ظهور وانتشار التيار السلفي الجهادي الذي لا يقبل بديلا عن خيار الجهاد والمقاومة والذي يرفض الدخول في أي نوع من المفاوضات التي تفرضها سلطة محتلة تملك أدوات القوة وتوجيه ضربات أمنية وعسكرية مستمرة بهدف إضعاف البنية التحتية لأي مشروع نهضوي لهذه الأمة، فالتجارب في الصراع مع العدو الإسرائيلي - بحسب هذه الجماعات - أثبتت أن المفاوضات والمعاهدات والمواثيق كلها لا تجدي نفعا لأن اليهود كما وصفهم القرآن الكريم " كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم "، وأنهم " قوم لا يفقهون " وأنهم " لا يعقلون "، ولعل اصطفاة المجتمع الدولي وعلى وجه الخصوص الولايات المتحدة وأوروبا خلف المواقف الإسرائيلية بقطع العلاقات وعدم التعاون مع حكومة "حماس" باعتبارها حركة إرهابية سوف يساهم في تصاعد نفوذ خيار العودة إلى ما قبل الدخول في اللعبة السياسية، وكذلك تصاعد نفوذ تنظيم القاعدة في فلسطين والجماعات السلفية الجهادية، فمن المعلوم بأن رفض التعاون مع منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها منظمة إرهابية أفسح المجال لسيطرة الحركات الجهادية الوطنية ممثلة بحركة حماس

والجهاد الإسلامي، ولعل نفس السيناريو الذي حدث مع المنظمة سوف يتكرر مع حركة حماس في حالة عدم وجود أي دعم دولي أو عربي أو إسلامي بالإضافة إلى عمليات العزل والتصفية التي تنتهجها إسرائيل في التعامل مع حكومة حماس المنتخبة ديمقراطياً من الشعب الفلسطيني، وسوف تشهد السنوات القادمة صعوداً متنامياً لأيديولوجية القاعدة والتنظيمات السلفية الجهادية والعودة إلى خيار المقاومة في فلسطين، ورفض حزب الله وحماس في التحلي عن سلاح المقاومة بالرغم من مشاركة حزب الله في الحكومة اللبنانية وتسلم حماس للسلطة هو أكبر دليل على عدم ثقة حركات المقاومة الإسلامية في جدية قبول المجتمع الدولي للتعامل مع حركات الإسلام السياسي - المعتدل-، وقد بدأت إرهابيات صعود حركات مقاومة إسلامية أكثر تشدداً في فلسطين مثل: ألوية الناصر صلاح الدين، والقاعدة وسط حالة من انسداد الأفق السياسي في التعامل مع القضية الفلسطينية.

وخلاصة القول ان هناك تحولاً واقعياً داخل خطاب بعض حركات المقاومة الإسلامية من الانتقال من مرحلة "الثورة" إلى مرحلة "الحكم والسلطة"، ويدلل على ذلك ما جرى مع "حزب الله" وحركة "حماس"، حيث أن الاعتقاد بزوال عصر الأيديولوجيات، لدى حركات المقاومة الإسلامية والتي هي إحدى التعبيرات الأيديولوجية للعقيدة الإسلامية وشرائعها في بث روح المقاومة غير صحيح، وأن الضغوط الدولية وزوال الاحتلال هي من الأسباب الدافعة بتلك الحركات في تحول خطابها السياسي من الاستمرار في المقاومة إلى مشاركتها السياسية، وأن سعي أطراف النزاع العربي - الإسرائيلي بالدخول في مفاوضات جادة يكون بفعل قوة ضربات المقاومة العسكرية، وأن حركات المقاومة الإسلامية لا تثق بجدية التزام العدو الصهيوني ورغبته في الدخول بتسوية عادلة ترضي كافة أطراف النزاع، وأن حركات المقاومة الإسلامية تمتلك القدرة على التكيف وتحول خطابها السياسي مع احتفاظها بحقها في خيار العودة إلى المقاومة المسلحة.

تحاول الحركات السلفية الجهادية المعاصرة العاملة في بيت المقدس وأكنافه، إعطاء بعداً عالمياً يتجاوز الطرح الوطني الفلسطيني الذي هيمن على مجمل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي منذ انطلاق الحركة الوطنية والإسلامية للمقاومة، وهي كذلك تحاول أن تحيل

على الانتماء إلى الهوية الإسلامية التي تتجاوز البعد الوطني والقومي وهو الطرح الذي قدمته منذ بداية التسعينات الحركات السلفية الجهادية في العالم، وأنتج في نهاية التسعينات تنظيم القاعدة العالمي بزعامة أسامة بن لادن، ومن هنا فإن القضية الفلسطينية في منظورها هو شأن إسلامي عالمي في المقام الأول وهي الأطروحة المركزية لتنظيم القاعدة، فمن بين أكثر من 130 خطاباً لزعيم القاعدة بن لادن تكرر ذكر القضية الفلسطينية في مجملها بنسبة 95%، ولعل الإسم الذي أعلنته القاعدة فيه عن نفسها عام 1998 في بيثاور هو الأكثر دلالة على الأهمية المركزية للقضية الفلسطينية، فقد أطلق على نفسه اسم "الجهة العالمية لقتال اليهود والصليبيين والأمريكان".

وعليه فإن الحركات السلفية الجهادية، تعيد إلى الأذهان الفكرة الجوهرية بدعوى المقاومة العالمية، وهذا ما عبرت عنه شعارات بعض الحركات السلفية المعاصرة في قطاع غزة والتي أطلقت على نفسها اسم "جيش الإسلام"، حيث يتكون الشعار الذي رفعه وتبناه؛ من كتاب يهدي وهو القرآن الكريم دلالة على الالتزام بالحكم الشرعي بالعودة إلى الأصول دون الاعتبار للمصالح الموهومة، أما السيف فهو يشير إلى القوة وأن لا خيار أمام القضية الفلسطينية سوى الجهاد والقتال تحت راية واضحة حاكميتها "لا إله إلا الله محمد رسول الله"، أما الكرة الأرضية فهي للدلالة على مجال الدعوة والقتال والدعم التي تتجاوز به الأطروحات الوطنية والقومية.

ولا بد من الإشارة إلى أن حركة حماس لن تسمح لأية قوة إسلامية أخرى، سواء كانت سلفية أو غير سلفية، وحتى إن كانت وطنية بالتنامي والتقدم بشكل علني، وستعمل على إحباط أو إنهاء أي عمل من شأنه يعود بالسمعة الجيدة لاستقطاب أعضاء ومؤيدين لأي حركة أو تنظيم جديد، باستخدام قبضتها الحديدية التي تمارسها عبر القوة التنفيذية الخاصة بها.

ويمكن القول، أن جوهر الخلل في فلسفة برنامج التسوية وفقدان الشرعية الدولية بسبب عدم قدرتها على إلزام العدو الصهيوني في الاتفاقيات والمعاهدات، وأن التجارب أثبتت الكذب والتحريف المتعمد للحقائق والنوايا الذي يمارسه إعلام العدو في السعي نحو قبول مشاريع التسوية والبحث عن شريك جدي للتفاوض معه، وسلوكه خيار الحلول الأحادية

التي تجنبه إلزام المجتمع الدولي، والتخبط في سياسات الولايات المتحدة الأمريكية المتعلقة بقضايا المسلمين وتحيزها الكامل لإسرائيل.

كما أن هناك عدم ثقة متبادلة بين الجماعات الإسلامية والإدارات الأمريكية المتعاقبة لأسباب تاريخية وثقافية متعددة، ويرتكز موقف الجماعات الإسلامية على الاعتقاد بعدم جدية الولايات المتحدة الأمريكية بدعوات الإصلاح والتغيير في العالم العربي والإسلامي، حيث تولدت قناعة راسخة لديها بانحياز الولايات المتحدة للأنظمة السياسية الفاسدة والمستبدة في المنطقة بحجة تأييد ودعم الاستقرار على حساب الديمقراطية والحرية، كما اعترفت به وزيرة الخارجية الأمريكية "كونداليزا رايس" في خطابها الشهير في الجامعة الأمريكية في القاهرة، ومن جهة ثانية فإن السياسة الأمريكية المنحازة بشكل أعمى للاحتلال الإسرائيلي في فلسطين ووقوفها بوجه الحقوق الشرعية الفلسطينية والعربية على مدى عقود طويلة ولد قناعة أخرى تعزز من الاعتقاد بعدم نزاهة الوساطة الأمريكية المتعلقة بفلسطين، كما أن سياسات الولايات المتحدة الخارجية المتعلقة بقضايا العالم الإسلامي الأساسية لا تلقى دعماً وتأييداً مناسباً، مثل قضية كشمير والشيخان والفلبين وتركستان الشرقية "إقليم سكيانغ" في الصين، وغيرها من القضايا الشائكة، ولعل سياسات الهيمنة والسيطرة التي اتبعتها السياسة الأمريكية وفي مقدمتها احتلال أفغانستان والعراق وما ترتب عليهما من فوضى وعدم استقرار.

ويبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تمتلك رؤية واضحة حول طبيعة الجماعات الإسلامية السياسية، فعلى الرغم من إعلانها عن دعم مسيرة الإصلاح والتغيير في المنطقة عقب أحداث الحادي عشر من سبتمبر إلا أنها عادت مرة أخرى إلى المربع الأول ودعمت بقوة بمحمل الأنظمة السلطوية في المنطقة، الأمر الذي أدى إلى مزيد من الاحتقان والعنف مرة أخرى وبدأت هذه الأنظمة بتشديد قبضتها الأمنية على الإسلاميين، كما حدث في بلدان عربية وإسلامية متعددة، ولعل التجربة الأخيرة في فلسطين أكبر شاهد ودليل على تخبط السياسة الأمريكية في المنطقة في التعامل مع حركات الإسلام السياسي المعتدلة، فقد شهدت الانتخابات الفلسطينية الأخيرة عام 2006 فوزاً كبيراً لحركة "حماس" في انتخابات شهد العالم بتراهتها وشفافيتها، ورغم ذلك فإن هذه الديمقراطية لم ترضى عنها

الولايات المتحدة وحليفاتها إسرائيل، وعمدت على إجهاضها بكافة الوسائل والطرق، بدءاً من اعتقال أعضاء المجلس التشريعي التابع لحماس، واعتقال وزرائها وأنصارها، وانتهاءً بمحاولة الانقلاب عليها كما هو معروف، ومحاصرتها ومقاطعتها، وبالتالي محاولة عزلها وإجهاضها إقليمياً ودولياً، وهو ما أدى إلى انحيازها إلى محور طهران - دمشق، وما عقب ذلك من عدوان صهيوني جائر ضد قطاع غزة بهدف تقويض وتفكيك سيطرة حركة "حماس" على القطاع.

إن الشعب الفلسطيني، وكذلك غالبية الحركات الإسلامية المعاصرة، تنظر بعين الرضى والاحترام والتقدير إلى الموقف السياسي لتركبي الإيجابي تجاهه وتجاه قضيته الإسلامية الأولى، ويتطلع إلى تجسيد هذه المواقف السياسية ببرامج حقيقية في سبيل مبدأ حل القضية الفلسطينية على أساس عادل، في ظل الأزمة التي يعيشها النظام العربي واحتلال التوازن، من حيث تنامي نفوذ وسيطرة إيران في الإقليم، وسط قبول حقيقي - شعبي ورسمي - في التعامل مع الجمهورية التركية وقيادتها الحالية الحكيمة، حيث يتطلع الجميع إلى أن تلعب تركيا دوراً إقليمياً حيوياً يدفع بقوة إلى إنهاء كل أشكال التحيز الأمريكي مع العدو، والممارسات الإجرامية الصهيونية بحق الشعب الفلسطيني، بعيداً عن التوظيف الأمريكي للدور التركي في المنطقة.

وتقبلوا تحيات إخوانكم في

سرية الصمود الإعلامية



محرم 1431 هـ - يناير 2010